

المراجع

- 1- د/عبد القادر فيدوج ، دلالة النص الأدبي ، دراسة سيميائية للشعر الجزائري .
- 2- أحمد يوسف ، بين الخطاب والنص ، مجلة تحليلات الخدائسة ، معهد الآداب واللغة، جامعة وهران ، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران ، ع1 ، سنة : 1 ، 1992 ، ص: 53
- 3-Chrestian du bois :Des outils pour l'analyse littéraire le français dans le monde 07 1992 p 64
- 4- Philippe Lane la peripheri edu texte nathan paris 1992 P 75
- 5- Jean Paul Branckart, " Activite langagiere, Textes et discours , pour un socio-discursif, de la chaux et niestle. Paris 1996, P 83-84 .

الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي

(1285-1372هـ / 1858-1952م)

ودوره في التربية والثقافة

أ.د/ مختار بوعناني

جامعة وهران-الجزائر

الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي
(1285-1372هـ / 1858-1952م)

حياته وتعليمه

نسبه : هو أبو عبد الله بن عبد القادر بن محمد البوعبدلي يرجع أصل أسرته إلى الجد الأكبر المدعو أبو عبد الله المغوفل (ت 924هـ) دفن الشلف، شرق مدينة وادي ارهيو بالجمهورية الجزائرية.

ولادته : ولد عام 1285هـ الموافق لعام 1858م من أبوين مؤمنين في دوار "سوديين" - بمكان يدعى دار بن صالح - عرش بني خلاد قرب قرية (هين)، وهو مرفأ مشهور ، كان عاصمة عبد المؤمن بن علي الكومي الموحد (ت 558هـ/ 1183م)، التابع لبلدية ندرومة آنذاك ، و"سوديين" الآن تابعة لبلدية بني خلاد -ولاية تلمسان حاليا ، و"سوديين" تقع في سفح جبل سيدي سفيان من جهة الجنوب وهو تابع لسلسلة جبال (ترارة).

حفظه للقرآن الكريم :

تلقى مبادئ القراءة والكتابة في قريته ، ثم بعثه أبوه الشيخ عبد القادر رحمه الله إلى القرى المجاورة لحفظ القرآن الكريم ومن بينها :
- قرية أولاد البوعناني ، ليتعلم على يد الفقيه الشيخ المختار البوعناني ، وقد ختم القرآن عنده .

- قرى "ول-هاصة".

- كما أنه قرأ في الغزوات (سواحل) ، على الشيخ لخضر الحبشي.

وأخبرنا ابنه ووارث سره الشيخ عياض أن الأب - رحمه الله - كان يتوقف طويلا بأمر عائلته بذلك عندما يمر بجانب قرية أولاد البوعناني ، وهم في طريقهم إلى أهلهم بقرية ، أو عند أتباع الطريقة ليسترجع الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي ذكريات هذه القرية وهو في سن الشباب .

وقرى عرش "ولهاصة" المخاذي لعرش بني خلاد ، والمشهور بإيواء حفظة القرآن ، وبكثرة حفاظ أبنائها للقرآن الكريم إلى اليوم .

لقد قص علينا الشيخ أمحمد بن داود أنه صحب الشيخ مع من صحبه لزيارة أهل "ولهاصة" في إحدى زيارته لها وعندما قربوا من قرية يعقوبيين بـ "ولهاصة" أمر "المقدم" بـ ، يطوي دفتره ، وما فيه من تعليمات سجلها "المقدم" خاصة بتحركات الشيخ ، وأمر الحضور بما فيهم الشيخ أمحمد بن داود - أطال الله عمره - أنهم من الآن في حرمة أناس أصحاب علم وكرم وأخلاق وشهامة وغيره على الدين ، وحفظة القرآن الكريم يحرمون الضيف ويوفرون له كل الراحة ، اللازمة ولا يشعروا بالغرابة عندهم فتحن في حرمتهم يتصرفون كيف ما شاؤوا دون أن يتدخل في شيء ما دمتا في منازلهم حتى تخرج من عرشهم ، وأمر الشيخ "المقدم" أن لا يتدخل في أمر كيف ما كان ، ما دمتا في ضيافتهم¹ .

طلبه للعلم خارج الوطن :

ثم توجه الشيخ إلى المغرب الأقصى ناحية "بني زناسن" مع رفيق له يدعى أحمد بن الحبيب بكار العسكري الغريسي من أولاد سيدي أحمد بن

علي المشهورين بالعلم ، وهناك تلقى العوم الشرعية واللغوية مدة أربع سنوات على نفقة باشا "تسولي" وفي منزله بعدما جلب له عالما من آخر علماء القرويين بفاس - المغرب - .

شيوخه داخل الوطن :

قرأ على العديد من مشايخ حفظة القرآن الكريم في صغره أمثال :

- الفقيه السيد المختار بوعناني (بني خلاد) .

- الشيخ لخضر الحبشي (سواحل ناحية الغزوات) .

ثم بعد رجوعه من المغرب قرأ على :

- الشيخ شعيب بن علي قاضي لجماعة تلمسان .

- الشيخ محمد الحرشاوي الندرومي بمدينة تلمسان .

- الشيخ بن يلس (ألفية ابن مالك) بمدينة تلمسان .

- الشيخ قدور بن سليمان بمستغانم .

وأجازه الشيخ شعيب بن علي قاضي تلمسان بأبيات شعرية :ومن هنا

هذان البيتان :

أبا عبد الله يابن عبد القادر وقال إله العرش أسباب ذي الفتن .

وما زلت ترقى والعناية سرمدنا نلاحظكم بأعين ما لها مهني من

كما أجاز الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي نفسه بعض أكابر علماء

تلمسان وغيرهم في أبيات شعرية لأم نصل إليها .

تلاميذه :

إن تلاميذ الشيخ كثيرون ولا يمكن حصرهم ،ومن بينهم:

- الشيخ أحمد بن داود .

- الشيخ الطيب المهاجي .

- الشيخ عليش .

- الشيخ عبد الله حاكم النجاري .

- والعشرات من حفاظ القرآن الكريم من أنحاء الوطن كله ، ومن خارج الوطن .

الشيخ البوعبدلي المعلم والمربي

الشيخ المعلم :

بعد طلبه للعلم زار صديقه السيد أحمد بن الحبيب بمدينة معسكر رفيقه في الدراسة بالمغرب ، وكان هذا الأخير قد رجع قبله إلى بلدته معسكر واستقر بها ، فأكرمه بحضور جد غفير من أشرف أولاد سيدي أحمد بن علي الغريسين ، وقد أشاروا على الشيخ البوعبدلي أن يذهب إلى أرض "الغرابة" بناحية "سيرات" حجة أهل هذه الناحية للقرآن العظيم ولأهله ، ولرغبتهم في البحث عن معلم لتعليم القرآن والدين ، فعمل الشيخ بنصيحتهم وذهب إلى قرية "المناصرية" فاستقر بها ليؤسس أول نواة لتعليم القرآن ومبادئ بعض العلوم الشرعية والعلمية .

ثم زوجه أهل القرية بإحدى بناتها ، لما علموا فيه من خصال حميدة ، كالعفة والخير والصلاح والتفاني في تعليم النشء وحبه للخير ، بالإضافة إلى نسبه الشريف .

الاستقرار ببلدة "بطيوة" : ثم انتقل بعدما قضى مدة هناك إلى قرية "بطيوة" في نواحي أزوي ، حوالي سنة 1903م ، فأسس فيها مدرسة لتعليم القرآن الكريم ، وتجويده ، ونشر العلم .

لقد تخرج على يديه كثير من حملة كتاب الله ، وانتفع طلبه العلم في أنحاء الوطن ، سواء بالقراءة عليه أم بالمراسلات التي كانوا يبعثونها إليه في قضايا دينية ، وأدبية ، ولغوية بصفة عامة ، أم بالأسئلة الشفوية²

الشيخ المربي

الحديث عن التربية وبخاصة ما يتعلق بالشيخ البوعبدلي لا ينتهي ، ولا يمكن الإحاطة به ، سواء ما تعلق بأبنائه أم بالطلبة عموما ، أم باتباع الطريق أم ممن كاتبهم ، أم من سافر معهم ، أم من التقى بهم ولو مرة واحدة ، أم من قرأ له ، أم ممن عاشوا معه طيلة حياته ، كل هؤلاء وغيرهم ألا وأثر فيهم على حسب استعداد الفرد .

إن الشيخ أبا عبد الله قد حباه الله بصفة المربي ، لا نعثر على مثله إلا عند القلة القليلة في عصره إن وجدوا . فلقد تصدى الشيخ للتربية طول حياته في الزاوية وخارجها ، عند الأحباب ، وفي حله وترحاله ، في كتاباته ، فهو لا ينفك عن التربية منذ أن صار معلم الصبيان ، في الكتابات القرآنية إلى أن لقي ربه . وعندما كوّن زاويته المشهورة باسمه (البوعبدلية) في "بطيوة" تضاعفت مهمة التربية ، ذلك لأنه كان :

أ- يربي الطلبة من وجهتين الأولى: حفظ القرآن الكريم. والثانية : تعليمهم أمور دينهم ، ودنياهم .

ب- تربية أتباع الطريقة ، سواء داخل الزاوية ، أم في الزيارات التي كان يقوم بها في المدن والقرى ، والمدامر ، وفي جميع المناسبات ، دينية وغيرها .

ج- تربية أسرته ، وأتباع الطريقة ، والأحباب والأصدقاء ، سواء مشافهة ، أم مراسلة .

-د- تربية الأمة قاطبة ، في أشعاره وفي كتبه المختلفة .

-ه- تربية الأفراد والجماعات عند الفصل في الخصومات والخلافات .

إننا ما قرأنا إنتاجا للشيخ أبي عبد الله البوعبدلي إلا ونعثر على التربية في المقام الأول في كل الموضوعات ، مهما اختلفت مشاربها ، فالتربية هي البداية وهي النهاية .

لقد عثرنا على شهادات بخط يديه - رحمه الله - تدعم ما قدمناه سلفا ، وفي الوقت نفسه تبين لنا مهمة هذا المربي العظيم ، وما كان يقوم به ، ولا نبالغ إذا قلنا : إن جميع رسائل الشيخ إلا وفيها حيز هام من الوعظ والإرشاد سواء كتبه للخاصة ، أم للعامة ، أم لأقرب الأقارب ، والأسئلة في الموضوع كثيرة جدا ، ومتفاوتة الجوانب .

لقد لاحظنا في وعظه وإرشاده أن يختار لهذه المهمة الكلمات المناسبة للمقام ، وللشخصية التي التي يخاطبها ، ولكثرة ما جاء في الموضوع فإننا نقتصر على :

- "واصل الطهارة ما استطعت" ، رسالة للشيخ عليش³ .

- "عليك بتقوى الله ما استطعت"⁴ .

نظرة في تربية النشء

إن الشيخ أبا عبد الله ما فتئ يهتم بالتربية ، وبخاصة تربية النشء ، ويقترح في الموضوع ما يأتي :

- أولا : الاعتناء بحفظ القرآن الكريم حفظ تلاوة .

- ثانيا : أن يكون التلميذ زمن اشتغاله بحفظ القرآن آخذا من :

- علوم العربية .

- شيء من الفقه ، بقدر ما يؤدي به الواجبات .

- شيء من العقائد الإيمانية ، بقدر ما في صفحة ذهنه ، ذلك بقدر ما يناسب طوره الصياني ، بحيث يتجنب به من إقامة البراهين ، ما يعسر عنه إدراكه بغير واسطة شبهة ، لا يؤمن أن تعلق بذهنه .

- ويكون ذلك بأساليب منها تيسير الحفظ في مدة قصيرة وتسهيل الإدراك .

- ولا ينبغي أن نحاري ما يقال : إن الاشتغال بحفظ القرآن... مبطل بتقدم الأمة...

والواجب أننا لا يعني أن نكون كل مفرد مخصص في العلوم ، وإنما الغاية المرجوة إزالة هياج الأمة ، أو تقليلها قليلا يصيرها لا تظهر ، وانظر إلى الأندلس زمن ازدهارهم ، ومصر ، والعراق ، وغيرها . فإن كل عالم منهم كان يحفظ القرآن بجل أو كل وجوه القراءات ، مع نحو المونة ، وكتاب سيويه ، إلى غير ذلك .

فهذا كلام ، وإن كان عليه بحسب ظاهره برهان من نفسه ، إلا أنه في الحقيقة محو لميزات الأمة ، أمة إسلامية ، وتجريدا لها من شرفها الإسلامي ، فإن الأمة في الوقت ملحوظة بعيون تترصد لها الدوائر ، وتترقب منها الفرص مبنوث لها ممن يحاول القضاء عليها خصوصا في دينها الذي يترأى لهم هو حياتها ، ويخاف منه بعض انتشار لما هو عليه...⁵

الشيخ الأستاذ :

إن للشيخ أبي عبد الله إسهامات لا تحصى في التدريس ، فقد سهر على تعليم أبنائه واحدا واحدا ، وتتبع ما يدرسونه عن قرب ، لقد حكى لنا الشيخ "عياض" حامل سر أبيه بأنه تعلم علم العروض على يد أبيه

- رحمه الله- وهو يجدد الموضوع قرب كل فريضة ، لأن الشيخ لم يكن له الوقت الكافي لانشغاله بالتأليف ، وبقضايا المريدين والزوار .

أما تعليمه لغير أبنائه فله الأثر الملموس والمحمود عند القاضي والداني بدليل الأمثلة المختلفة التي اطلعنا عليها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- إن الشيخ عlish يرغب في التعلم على يد الشيخ البوعبدلي في الزاوية البوعبدلية ، وهو ما صادفناه في رسالة الشيخ البوعبدلي يجب الشيخ عlish على هذه الرغبة قائلا : " جاء مكتوب آخر من سيادتكم [الضمير يعود على السيد عlish بن السيد الحاج بن خليل] ومفادهما معا سؤالكم عن أحوال التدريس لدينا راغبين أن تشرفونا بمعاشرتكم "6.

ونجده في رسالة أخرى يعبر عن هذه الرغبة قائلا : " وأما سؤالكم على القراءة في الفقه وغيره فذلك - إن شاء الله - بحسب ما ، أعاننا الله وإياكم "7.

وفي رسالة أخرى كتبها للشيخ عlish في الموضوع نفسه يقول فيها : " وشرعت في التدريس كما رأيت "8.

نصيحته للعلماء

إن الشيخ من العلماء العاملين النصوحين ، وبخاصة إذا تعلق الأمر بقضية لا يخوض فيها إلا ذوو الاختصاص ، ذلك أنه عندما رد على سؤال : "ماذا تعبد ؟ هل تعبد الذات أو الصفات ؟" نصح صاحبه بأن مثل هذا السؤال لا يطرح على العامة قط ، لتعلقه بعلم العقائد ، وهو علم لا يتحدث فيه إلا أهله ، بدليل نص الشيخ : " واعلم أنه لا ينبغي لفاضل أن يلقي إلى العامة أسئلة المعينة ، خصوصا إن كان موضوعها علم العقائد

كهنه [يشير إلى ما تعبد ، هل الذات أو الصفات ؟] لصعوبة مصادرها ، إلا أن يكون على وجه حسن من وجوده ، بأن يكون المسؤول مظنة العلم بها فيسأله ليستفيد ، أو ليكون السائل عالما بالمسألة ، قادرا على إيصالها لذهن المسؤول بحسن التعبير ، وتنويع التصوير ، حتى تتمكن من ذهن المسؤول وتحصل صورتها في النفس ، أو تبعثه على تتبعها وإن عند غير السائل ، أو يكون بين السائل والمسؤول مؤانسة وائتلاف يعلم منه أنه يأنس بسؤاله ويرتاح له لما فيه من شحذ الأذهان ، وطلب انصقالها ، فأن كان السؤال على وجه من الوجوه الثلاثة ، وما شاكلها فإنه حسن يثاب عليه لحسن المقصد ويعرف ذلك بالقرائن .

أما إن كان المراد به تجهيل المسؤول والتشويش عليه وتخييره كما هو دأب الجهال أهل المماراة المسولة لهم أنفسهم أن ذلك هو ثمرة العلم فهو حرام تحب المبادرة إلى التوبة منه ، فليتنق الله فاعله ، والمؤمن اللين هو على ما ينفعه في معاده أحرص ، ولا شيء أنفع من التواضع ، وعدم الرضى عن النفس "9.

الشيخ الفقيه

لقد اشتهر الشيخ بفتواه المختلفة بين العلماء ، فلا غرو أن تنهال عليه الأسئلة من أنحاء الوطن ، ومن مختلف طبقات الأمة عالمها وفقيهاها وغنيها وفقيرها .

هذه الأسئلة كانت تتقاطر عليه ويتقبلها -بصدر رحب - بدليل أن إجابته قد تبلغ رسالة كاملة، أي : صفحات وصفحات في المسألة الواحدة . إن المطلع على إجابات أبي عبد الله الفقيه ليندهش ، لما يجد فيها

من تدقيق وتبسيط لها في الوقت نفسه والاطلاع الواسع على المراجع التي لها صلة بالمسألة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن فتاوى الشيخ لا يمكن حصرها في هذه العجالة ، وإنما تحتاج إلى مؤلف مستقل خاص ، ونحن -بحول الله- نسعى لجمعها في كتيب.

وإننا عثرنا في خزانة الشيخ محمد بن داود على بعض ما جاء في الموضوع ، نقدمه للقارئ الكريم ملخصا على النحو الآتي :

- 01- مرور اليد على الوجه عند الصلاة على النبي¹⁰
- 02- شرح قول العلامة أبي الضياء خليل في قسمة التركة من مختصره¹¹.
- 03- إن إنسانا مات عن بنتين وأخت وابن أخت ، ما معني هــ القول؟¹².
- 04- دفع الزكاة لبناء المساجد، وتعليم الصبيان¹³.
- 05- ما حكم الهدية شرعا؟¹⁴.
- 06- ما حكم الكتابة على القبور؟¹⁵.
- 07- قضية إمامة "بطيوة" ، ورأي العلماء في الموضوع¹⁶.
- 08- حكم الشرع في الانتخاب ، والنائب ، والمجلس النيابي ، وورقة الانتخاب¹⁷.

الشيخ القاضي

إن الشيخ البوعبدلي طبق حدود الله بين الخصمين ، أو المتخاصمين ولم يصدر حكما إلا بعد السماع من الخصمين ، ولم يسمع من أحد أنه لم يرض بما قضى به الشيخ ، والسر في ذلك أنه يطبق الكتاب والسنة في الموضوع .

إن القضاء الذي كان يقوم به الشيخ طيلة حياته ، والوفود التي كانت تقصده من أجل ذلك ، قد جلب أنظار الاستعمار الفرنسي إليه وضايقوه وذلك أن القضاء من أهم القضايا التي لها علاقة بكل أفراد الشعب ، لهذا أراد الاستعمار أن يبعده عن موضوع القضاء ، إلا أن الشيخ البوعبدلي استطاع أن يجلب إليه كل من له قضية خا صلة بالدين ، أو الدنيا ليفصل فيها على الرغم من كيد الاتسعمار إلى أن لقي ربه .

ولم يقتصر قضاء الشيخ بين الناس وتطبيقه للشريعة الإسلامية في مقر سكناه ، ودخل الزاوية في قرية "بطيوة" ، بل إننا نجد يحكم بين الناس في حله وترحاله ، ومن خلال إجابته عن الأسئلة التي تتوافد عليه من داخل الوطن وخارجه .

وأخيرا إننا حاولنا أن نقدم في هذه العجالة صورة مضبنة من حياة الشيخ أبي عبد الله البوعبدلي ، الذي قضى حياته في خدمة العلم والتربية من أجل إصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به أيام الاستعمار الفرنسي ، بل إن هذه الصفحات القليلة لا تفي بالغرض المنشود في حق هذا الرجل العالم المصلح .

الهوامش

- 1 - ابراهيم : الرسالة رقم : 87.
- 2 - ابراهيم : في هذا الشأن ما جمعناه عن في الموضوع تحت عنوان (الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي لغويا) ونتمنى أن يرى هذا الكتيب النور عن قريب .
- 3 - ابراهيم : الرسالة رقم : 11.
- 4 - الرسالة رقم : 26.
- 5 - الرسالة رقم : 75.
- 6 - الرسالة رقم : 1.
- 7 - الرسالة رقم : 34.
- 8 - الرسالة رقم : 30.
- 9 - الرسالة رقم : 23.
- 10 - الرسالة رقم : 9. بعثها إلى الشيخ عليش ، بدون تاريخ .
- 11 - الرسالة رقم : 15. بعثها لسيد أبي زيان بن محمد الصبيحي سنة 1334هـ.
- 12 - الرسالة رقم : 19. بعثها لسيد أحمد بن طاهر .
- 13 - الرسالة رقم : 23 . بعثها إلى السيد محمد بن المختار النحالي ، سنة 24/ أكتوبر 1918م .
- 14 - - الرسالة رقم : 29 . بعثها إلى الشيخ عليش ، بدون تاريخ.
- 15 - الرسالة رقم : 40. بعثها إلى السيد : قادة بن عمروش ، وإلى السيد : محمد بن الحبيب ، سنة : 1344هـ .
- 16 - الرسالة رقم : 59 .
- 17 - الرسالة رقم : 90 .

Bibliographie

- 1- AMRANI, (Slimane), 1985, La fonction de sujet, Thèse de doctorat 3^e cycle, Université de Provence, Centre d'Aix-en-Provence, Aix-en-Provence, France.
- 2- CHOMSKY, (Noam), 1971, Aspect de la théorie syntaxique, Traduction de Jean-Claude MILNER, Edition du Seuil, Paris, France.
- 3- DEBBACHE, (Abdelhamid), 1992, Le prédicat syntaxique en arabe, Thèse de doctorat nouveau régime, Université de Provence, Centre d'Aix-en-Provence, Aix-en-Provence, France.
- 4- DUBOIS, (Jean) et DUBOIS-CHARLIER, (Françoise), 1970, Eléments de linguistique française: syntaxe, Librairie Larousse, Paris, France.
- 5- FRANÇOIS, (Frédéric), 1984, L'enseignement et la diversité des grammaires, Hachette, Paris, France.
- 6- GLEASON, (H.A.), 1969, Introduction à la linguistique, Traduction de Françoise DUBOIS-CHARLIER, Librairie Larousse, Paris, France.
- 7- JESPERSEN, (Otto), 1971, La syntaxe analytique, Traduction d'Anne-Marie LEONARD, Paris.
- 8- LYONS, (John), 1970, Linguistique générale: introduction à la linguistique théorique, Traduction de Françoise DUBOIS-CHARLIER et David ROBINSON, Larousse, Paris, France.
- 9- MAHMOUDIAN, (Mortéza), (Sous la direction de -), 1976, Pour enseigner le français, PUF, Paris, France.
- 10- MARTINET, (André), 1980, Eléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris, France.
- 11- ROSSI, (Mario), 1977, L'intonation et la troisième articulation, in BSL, 72/1, Klincksieck, Paris, France.
- 12- ROSSI, (Mario), 1981, L'intonation: de l'acoustique à la sémantique, Klincksieck, Paris, France.
- 13- TOURATIER, (Christian), 1975, Technique d'analyse de la phrase latine, in Dossier d'études pour l'enseignement du latin, N°4, Institut national de recherche et de documentation pédagogique, Strasbourg.
- 14- TOURATIER, (Christian), 1977, Comment définir les fonctions syntaxiques, in BSL, 72/1, Klincksieck, Paris, France.
- 15- TOURATIER, (Christian), 1985, Le prédicat comme fonction syntaxique, in Cercle linguistique d'Aix-en-Provence, Travaux 3, Aix-en-Provence, France.